الشفاعة وأنواعها

شفاعة

سيدنا محمد ﷺ

العامة والخاصة

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها)

من الصفحة ٢٢٠ حتى الصفحة ٢٦٧

وكتاب (التقرب إلى الله تعالى)

من الصفحة ٢٩٥ حتى الصفحة ٣١٢

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة

وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام

من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام

ـ المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

الشفاعة وأنواعها

الشفاعة هي كما قال الحافظ الزرقاني: هي: انضمام الأدنى ـ أي: لجوؤه وقصده ـ إلى الأعلى، ليستعين به على ما يَرومه ـ أي: في جلب منفعةٍ، أو دفع مضرَّة عن المشفوع به.

والشفاعة عند الله تعالى لا يتقدّم إليها أحد إلا بإذنه سبحانه، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ فهو سبحانه يأذن لمن يشاء، ويُشفعه بمَنْ شاء، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾.

والشفاعة يوم القيامة على أنواع متعددة:

أوَّلها وأعظمها وأعمُّها: الشفاعة العظمى، وتسمى الشفاعة الكبرى، وهي الشفاعة العامة التي تعمُّ جميع أهل الموقف على مختلف أديانهم، وبها يتخلصون من أهوال الموقف وكرباته بعد اشتدادها وطولها، ثم ينفضُّ أمرهم إلى عالم العَرْض والحساب والميزان، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

والشفاعة العظمى هي من خصائص سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهي أول الشفاعات، وهي: باب الشفاعات كلها، وهي المقام المحمود الذي يقوم به صلى الله عليه وآله وسلم كما

وعده الله تعالى بذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾.

وإنما سُمي مقام شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم العظمى ـ سمي مقاماً محموداً لأن أهل الموقف كلهم: بَرَّهم وفاجرهم، سعيدهم وشقيهم يحمدون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويُثنون عليه لَمَّا يشفع بهم، ويُنقذهم من أهوال الموقف وشدائده.

قال البخاري: باب قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ ثم أسند إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال: (إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثَى[1]، كل أمةٍ تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع لنا، حتى تنتهي الشفاعة إلىٰ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود).

وسبب هذه الشفاعة العامة أن أهل الموقف لما تشتد عليهم الأهوال ويطول ذلك عليهم، حتى إن الكافر يتمنى أن ينفضَّ أمره ولو إلى النار، كما في الحديث الذي رواه الطبراني، عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه

---

(١) قال الحافظ الزرقاني: وجُثى بضم الجيم وفتح المثلثة المخففة منوناً ومقصوراً.
وقال الحافظ في: (الفتح) جمع جَثوة، مثل خطى جمع خطوة، قال: وحكى ابن الأثير أنه روي بكسر المثلثة وشدِّ التحتية جمع جاثٍ، وهو الذي يجلس على ركبتيه.
وقال ابن الجوزي: عن ابن الخشاب: إنما هو جُثَّى بفتح المثلثة وتشديدها جمع جاث، مثل غاز وغزَّى ـ أي: جماعات. اهـ.

قال: «إن الرجل ـ وفي رواية موقوفة: إن الكافر ـ ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول: يا ربِّ أرحني ولو إلى النار»[1].

فحين يطول ذلك عليهم ويشتدّ ويمتد، يلتمسون شفيعاً لهم يُنقذهم من تلك المآزق، ويُخرجهم من هاتيك المضايق، فيفزعون إلى أبيهم آدم عليه السلام، ثم إلى نوح عليه السلام، وكلٌّ من الرسل يعتذر، ثم وثم حتى ينتهي الأمر إلى الحبيب الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أهَّله الله تعالى لذلك المقام وأكرمه به، فيقول: «أنا لها، أنا لها» صلى الله عليه وآله وسلم.

روى الشيخان، والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوةٍ، فَرُفع إليه الذراع ـ وكانت تُعجبه ـ فنهس منها نهسةً وقال: «أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة، هل تدرون ممَّ ذلك؟

يجمع الله الأولين والآخرين على صعيد واحد، فَيُبصرهم الناظر، وَيُسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغمِّ والكرب ما لا يُطيقون ولا يحتملون.

فيقول الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، ألا ترون إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟

فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم.

فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألاَ تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه؟

---

(١) كما في: (مجمع الزوائد).

فيقول: إنَّ ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنَّه نهاني عن الشجرة فعصَيْتُ ـ نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أَوَّل الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً، ألا ترىٰ إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغْنا؟ ألا تشفع لنا عند ربك؟

فيقول: إنَّ ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنَّه قد كان لي دعوة دعوتُ بها على قومي ـ نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبيّ الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا عند ربك، أَما ترى ما نحن فيه؟

فيقول لهم: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنتُ كذبت ثلاث كَذَباتٍ؛ فذكرها ـ نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى، فيقولون: أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟

فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قَتَلت نفساً لم أُؤْمَرْ بقتلها ـ نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلَّمتَ الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟

فيقول عيسى: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم».

وفي رواية لهما: «ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر».

وجاء في رواية لمسلم، عن جابر رضي الله عنه: «فيؤتى عيسى فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم».

وفي رواية لهما عن أنس رضي الله عنه: «فيقول عيسى: لستُ هناكم، ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبداً غفر الله ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر».

وفي رواية لأحمد والنسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «فيقول عيسى: إني اتُّـخِذتُ إلَهاً من دون الله».

وفي رواية لأحمد أَنَّ كل نبي يقول: «إنه لا يَهمني اليوم إلا نفسي» ـ من آدم إلى عيسى عليه السلام ـ.

وفي حديث أنس رضي الله عنه عند سعيد بن منصور نحوه، وزاد فقال آدم فمن بعده: «وأن يغفر لي اليوم حسبي».

«فيأتون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، فيقولون: يا محمد أنتَ رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ اشفع لنا إلىٰ ربك.

قال: فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله».

وفي رواية: «فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي».

وفي رواية للبخاري: «فيلهمني الله محامد لا أقدر عليها الآن، فأحمده بتلك المحامد، ثم يقال: يا محمد: ارفع رأسك، وسلْ تُـعْطَه، واشفع تشفَّع.

فأرفع رأسي فأقول: يا ربِّ أمتي أمتي.

فيقال: يا محمد أدخِل الجنة من أمتك مَن لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب».

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده إنَّ بين المصراعين من مصاريع الجنة: كما بين مكة وهَجَر، أو كما بين مكة وبصرى».

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يجمع الله الناس يوم القيامة، فيهتمُّون لذلك».

وفي رواية: «فيلهمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يُريحنا من مكاننا هذا».

قال: «فيأتون آدم فيقولون: أنتَ آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يُريحنا من مكاننا هذا.

فيقول: لستُ هناكم ـ فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربَّـه

منها، ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض».

قال: «فيأتون نوحاً، فيقول: لستُ هناكم ـ فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتَّخذه الله خليلاً.

فيأتون إبراهيم، فيقول: لستُ هناكم ـ وذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلَّمه الله تعالى، وأعطاه التوراة».

قال: «فيأتون موسى، فيقول: لستُ هناكم ـ ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته.

فيأتون عيسى روح الله وكلمته، فيقول: لستُ هناكم، ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فيأتونني، فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته وقعتُ له ساجداً، فيدعني ما شاء الله، فيقال: يا محمد ارفع رأسك قل تُسمع، سل تعطه، اشفع تشفَّع».

قال: «فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يُعلمنيه ربي، ثم أشفع، فيحدّ لي حداً، فأُخرجهم من النار وأُدخلهم الجنة».

قال الراوي: «فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة، فأقول: يا ربِّ ما بقي من النار إلا مَنْ حبسه القرآن» أي: وجب عليه الخلود.

وقد يشكل على الإنسان أَنَّ أول هذه الأحاديث وأمثالها جاءت في سياق الشفاعة العامة، لإنقاذ جميع أهل الموقف، وأنَّ آخرها

جاء في سياق الشفاعات الخاصة بمن لا حساب عليه، ومنها الشفاعة بأهل الذنوب، كما تقدم في رواية للشيخين.

والجواب على ذلك كما قاله الشيخ أحمد بن نصر الداوودي في شرحه على البخاري: إن هذا من باب إدخال حديث في حديث آخر، وذلك أَنَّ أول الحديث ذكر الشفاعة في إراحة الخلائق من أهوال الموقف، ثم بعد التحول عن الموقف وانتقالهم للحساب والميزان وما هنالك: جاءت الشفاعات الخاصة بأنواعها.

وقد أجاب عن ذلك أيضاً الإمام النووي وَقَبْله القاضي عياض في شرحهما لمسلم كما نبّه إليه، ويدل على ذلك ما جاء في رواية: (مسند) البزار: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فأرفع رأسي ـ أي: من ذلك السجود الطويل تحت العرش ـ فأقول: يا ربِّ عَجِّل على الخلق الحساب».

فهو صلى الله عليه وآله وسلم يسأل أولاً تعجيل الحساب على كافة الخلق، ثم بعد التحول من الموقف تأتي الشفاعات الخاصة[1].

بيانات وإيضاحات هامَّة
حول أحاديث الشفاعة المتقدمة

أولاً: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» فيه إعلان بمقام سيادته صلى الله عليه وآله وسلم، وإعلام

---

(١) انظر ذلك في: (شرح) النووي على مسلم، و(فتح الباري)، وفي (شرح المواهب) و(شرح الإحياء).

لجميع الأنام بسؤدده العامِّ، وذلك من باب تحدثه بنعم ربه وتكريمه إيّاه؛ لا من باب المفاخرة؛ قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ولذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، آدم فمَنْ دونه تحت لوائي ولا فخر».

وإنما خصَّ ذكر يوم القيامة بذلك؛ مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم له السيادة على ولد آدم كلِّهم في الدنيا والآخرة، ولكنه إنما ذكر ذلك في الآخرة: لأن الناس كلَّهم يومئذ يُقرُّون بسيادته، ويَعترفون بفضله: الأبرار والفجار، السعداء والأشقياء، وأما في الدنيا فلا يُقر بذلك إلا مَنْ آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم حقاً.

ومن المعلوم أَنَّ سيد القوم هو كريم القوم وشريفهم، الذي يهتمّ بشأنهم، ويسعى لما فيه صلاح أمرهم، يفزعون إليه في المهمّات، ويقصدونه في النائبات، وَيَرجون خيره وبرَّه في الشدائد والضائقات.

ولذا أعلن صلى الله عليه وآله وسلم بمقام سيادته ليقصدوه في أشدِّ الحالات والكُربات، أَلاَ وهي كربات الموقف وأهواله ومضايقه، وبيَّن صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يُنقذهم من أهوال ذلك الموقف وشدائده إلا سيدهم صلى الله عليه وآله وسلم، وحينذاك كلُّهم يرون مقام سيادته، ويُقرُّون له بذلك صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: قال الإمام النووي رضي الله عنه في: (شرح مسلم): والحكمة في أن الله تعالى ألهمهم ـ أي: ألهم أهل الموقف ـ سؤال

آدم ومَنْ بعده من الرسل صلوات الله تعالى عليهم في الابتداء ـ أي: ليشفعوا بهم ـ ولم يُلهَموا سؤال نبيِّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والحكمة في ذلك هي ـ والله أعلم ـ إظهار فضيلة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فإنهم ـ أهل الموقف ـ لو سألوه الشفاعة ابتداءً لكان يُحتمل أَنّ غيره من الرسل يقدر على هذا ويُحَصِّلُه، وأما إذا سألوا غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه فامتنعوا، ثم سألوه فأجاب وحصل غرضهم؛ فهو النهاية في ارتفاع المنزلة، وكمال القُرب، وعظيم الإدلال والأنس.

قال: وفيه تفضيله صلى الله عليه وآله وسلم على جميع المخلوقين من الرسل والآدميين والملائكة، فإنَّ هذا الأمر العظيم ـ وهي الشفاعة العظمى ـ لا يقدر على الإقدام عليه غيره صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم أجمعين ـ والله أعلم. اهـ.

وإنما لم يَقْدر أحد من الرسل أَنْ يتقدم للشفاعة العظمى، لأن التجلِّي وقتئذ بالغضب الشديد، ولذا قال كل رسول: «إنَّ ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله» ولذلك لم يستطع أن يتقدم للشفاعة إلا أحبّ حبيبٍ إلى الله تعالى، وَأَقرب مُقرَّب، ألا وهو السيِّد الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الشيخ محيي الدين ابن عربي رضي الله عنه: وإنما أخبرنا صلى الله عليه وآله وسلم بأنَّه أَوّل شافعٍ وأَوّل مشفَّعٍ شفقةً علينا ـ أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم المتبعين له ـ لنستريح من التعب الحاصل بالذهاب إلى نبيٍّ بعد نبيٍّ في ذلك اليوم العظيم، وكلٌّ منهم يقول: «نفسي نفسي لا يهمُّني اليوم إلا نفسي»

فأراد صلى الله عليه وآله وسلم إعلامنا بمقامه يوم القيامة لنصير في مكاننا مستريحين، حتى تأتي نوبته صلى الله عليه وآله وسلم، ويقول: «أنا لها أنا لها».

قال: فكلّ مَنْ لم يبلغه هذا الحديث أو بلغه ونسيه ـ أي: لشدة تلك الأهوال في الموقف ـ لا بُدَّ من تعبه، وذهابه إلى نبي بعد نبي، بخلاف من بلغه ذلك الحديث ودام معه إلى يوم القيامة فلم يَنْسه؛ فإنه لا يتعب، فصلى الله تعالى عليه وسلم ما أكثر شفقته على الأُمَّة! اهـ.

جعلنا الله تعالى ممَّنْ بلغه هذا الحديث فلم ينسه أبداً آمين.

ثالثاً: إنَّ الإنسان قَد يتوهَّم من أحاديث الشفاعة المتقدم بعضها، وفيها أَنَّ كلاً من آدم ونوح وإبراهيم وموسى يقول: «لستُ هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربّه منها»، وفيها أن كلاً من هؤلاء أيضاً يذكر ذنبه، ويتوقف عن التقدم للشفاعة، فقد يتوهَّم من ذلك أن الأنبياء صلوات الله عليهم قد وقعوا في ذنوب وخطيئات، كبقية المذنبين والعُصاة ممن ليسوا بأنبياء، وهذا الوهم مدفوع ومرفوع من وجهين:

الوجه الأول: إنَّ من واجب الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام الاعتقاد بعصمة الله تعالى لهم من الذنوب والمعاصي، لثبوت ذلك بالأدلة نذكر جملة منها:

١ ـ إنَّ الله تعالى أمر العباد بطاعة الرسل واتباعهم صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ الآية ـ أي: بأمر الله تعالى وإرادته، فلو جاز

أن يقع من الرسل ذنب أو شيء من الفواحش والمحرمات لكان الناس مأمورين باتباعهم في ذلك الذنب أو الفاحشة، لأَنَّ الله تعالى أمر الناس باتباع الرسل اتباعاً مطلقاً، وكيف تتبعهم الناس في ذنوبهم أو مخالفاتهم ـ لو فرض أنهم يصدر عنهم ذلك ـ في حين أَن الله تعالى لا يأمر بالذنوب ولا بالفحشاء، بل نهى عن ذلك سبحانه، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

فلو جاز أن تقع الرسل في الذنوب والفواحش لكان الناس مأمورين باتباعهم في ذلك، والله لا يأمر بذلك بل نَهىٰ عن ذلك.

٢ ـ لو صدر من الرسل ذنب أو مخالفة شرعية لكان حالهم في استحقاق الذم عاجلاً، والعقاب آجلاً أشدَّ من حال عصاة الأمة، وذلك باطل شرعاً وعقلاً، وذلك أنَّ مَنْ كانت نعمة الله عليه أعظم وفضل الله تعالى عليه أكبر ـ كان صدور الذنب والمخالفة منه أفحش، ولذا كان حدُّ العبد نصف حدِّ الحرِّ.

٣ ـ لو صدر منهم مخالفة شرعية لما قُبلتْ شهادتهم، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾ وفي قراءة: ﴿فتثبَّتوا﴾ الآية.

فقد أمر الله تعالى بالتثبُّت والتوقف في خبر الفاسق.

٤ ـ إنَّ الرسل صلوات الله تعالى وسلامه على رسولنا وعليهم كانوا يأمرون الناس بفعل الطاعات وترك المعاصي والمخالفات، فلو أنهم فعلوا المعصية والمخالفة الشرعية لدخلوا في جملة الملومين والمذمومين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ

﴿ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية، بل لتناولهم اللوم والعقاب الشديد في قوله سبحانه: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ وحاشاهم من ذلك، فإنهم أبرياء أصفياء أتقياء أنقياء، قد أثنى الله تعالى عليهم، ومدحهم، ورفع شأنهم على غيرهم، قال تعالى بعد أن ذكر طائفةً من رسله صلوات الله عليهم بالمدح والثناء قال: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾.

فقد وصفهم الله سبحانه بأنهم مُصْطَفون، وأنهم أخيار، وهذان الوصفان يشتملان على جميع الأفعال الحسنة، وينفيان جميع الأفعال القبيحة.

وقال تعالى في وصف رسله صلوات الله تعالى على رسولنا وعليهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ فنزّه سبحانه جانب الرسل عن الدَّنَس والمخالفة.

٥ ـ إنَّ الله تعالى أخبر عن رسله أنه هو سبحانه أخلصهم، فهم المخلَصون والمخلِصون:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

وقال في يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

وقد أخبر سبحانه أن إبليس لا سبيل له إلى إغواء المخلَصين، قال تعالى إخباراً عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

وأعظم خلق الله تعالى إخلاصاً واستخلاصاً هم رسل الله تعالى، الذين أخبر عنهم أنه هو سبحانه أخلصهم إليه، فلا سبيل لإبليس إليهم، ولا سُلطان له عليهم، ولا تأثير له في إيقاعهم فيما هو محرَّم عليهم، وذلك كله مما يُوجب القطع بعصمة الرسل عن المعاصي والمخالفات.

٦ ـ إن الله تعالى جعل الرسل عليهم الصلاة والسلام أئمة هدى، فلا يصدر عنهم إلا الهدى والتقى، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

فلو جاز عليهم الذنوب والمخالفات الشرعية لوجب على الأمة أَنْ تتبعهم في مخالفاتهم، وحينذاك يخرجون عن كونهم أئمة هدى بل الأمر بالعكس؛ وحاشاهم صلوات الله عليهم، وعلى كلِّ حالٍ فليس هذا موضع تفصيل هذا البحث، وإنما تأتي تفاصيل ذلك في كتابنا: (الإيمان بالرسل صلوات الله تعالى عليهم) إن شاء الله تعالى.

الوجه الثاني: في الجواب عما ورد من نسبة الذنوب للأنبياء صلوات الله تعالى عليهم في بعض الآيات والأحاديث النبوية كحديث الشفاعة المتقدم، وبيان مفاهيم تلك الذنوب.

فنقول: ـ وبالله التوفيق ـ لقد أجاب العلماء المتقدمون عما أُضيف إلى الأنبياء من نسبة الذنوب، بعد أَنْ دلَّ الكتاب والسنة دلالة قطعية على عصمتهم من المخالفات والمحرمات؛ وكلٌّ من العلماء المتقدمين ـ نفعنا الله بهم ـ أَجاب بجواب فيه بيان نزاهة الأنبياء، وبيان كمالهم وشرافتهم وبراءتهم من الفواحش والقبائح،

ولولا خشية الإطالة؛ وباعتبار أن هذا البحث ليس موضع تفصيله هنا، لذكرنا تلك الأقوال مفصلة، ولكن نذكر الآن قولاً منها مشهوراً بين العلماء والعرفاء، قريب التناول، مذكوراً في كتب علماء الظاهر، وَمُبين في كتب علماء الباطن: وهو أن الذنوب المضافة للأنبياء صلوات الله عليهم الوارد ذكرها في الآيات والأحاديث هي ليست كذنوب غيرهم أصلاً، بل ذلك من باب القاعدة المقررة المشهورة بين جميع طبقات العلماء والعرفاء، سلفاً وخلفاً: حسناتُ الأبرار سيئات المقرَّبين، ومباحات العَوَام سيئات الأبرار.

فما ورد من إضافة الذنب إلى الأنبياء في آية أو حديث فهو يُعدّ ذنباً بالنسبة لمقامهم العالي، وبالنسبة لمنزلة قُربهم الخاصِّ بهم، وإن ذلك بالنسبة لغيرهم لا يُعدُّ ذنباً أصلاً بل يعتبر حسنة.

ومن المقرَّر أن الوزير المقرَّب للملك حُكمه غير أحكام السُوقة بل واجب التعظيم ومراسيم الأدب مع الملك والنزول عند رغبته وأمره كلُّ ذلك هو في الوزير أقوى وأشد في المسؤولية من غيره.

وبناء على ذلك فهذه الأكلة من الشجرة التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ ويسميها آدم خطيئة وهي أكله من الشجرة.

هذه الأكلة لو صدرت من آحاد الأُمَّة غير الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم لكانت حسنة لوجوه:

١ ـ إن آدم عليه السلام نسي العهد الذي عهده إليه ربه، وهو أن

لا يقرب هذه الشجرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾.

قال العلامة النسفي في: (تفسيره): ﴿فَنَسِيَ﴾ أي: النهي، والأنبياء عليهم السلام يُؤاخذون بنسيان الذي لو تكلفوه لحفظوه ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ أي: قصداً إلى الخلاف لأمره. اهـ.

يعني: أن ذلك وقع منه نِسياناً، ولم يقع منه قصداً للمخالفة وارتكاب النهي.

٢ ـ إنَّ إبليس قاسمه وقاسم حواء زوجته، وحَلَف لهما الأيمان المكررة بأنه لهما لَمِنَ الناصحين في أكلهما من الشجرة، ولم يَعْهَد آدم أبداً بأنَّ أحداً يحلف بالله كاذباً، لأنه لم يقع له سابقة، فلذلك وقع قَسم إبليس من آدم موقع الصدق والقبول.

٣ ـ إنَّ إبليس اللعين أتى آدم عليه السلام من طريقة يدلُّه على ما يُحبه آدم ويتمنى حصوله والظفر به، وهو الخلود والبقاء في الجنة، مُجاوراً لربه الكريم سبحانه، مُستظلاً بظلال الخير والنور الإلهي الدائم، فقال لآدم: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾.

فهنا يجتهد آدم عليه السلام في هذا الموقف طويلاً، فيؤدِّيه اجتهاده الملاحَظُ فيه نسيانه للنهي عَنْ قرب الشجرة، والملاحَظُ فيه تكرار حلف إبليس، والملاحظ فيه بُغية آدم الخلد في جوار ربه الكريم، فيؤديه نظره إلى أن يتقدم فيأكل من الشجرة، لا بقصد المخالفة لما نهاه الله عنه، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ على الذنب، ولا قصداً إلى المخالفة، بل كان ذلك على خطأٍ ونسيان، وقصد البقاء في الجوار الكريم؛ وهذا المعنى قد جاء عن

ابن عباس وغيره من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وعن ابن زيد، ونقله المفسرون عن جماعاتٍ من السلف الصالح[1].

فلو أَنّ مثل هذا وقع لأحدٍ من الأُمة غير الأنبياء لما عُدَّ ذنباً بالنسبة له، لصدوره عن نسيانٍ، وتغرير عدوٍّ، وعن نية حسنة، ولكن عُدَّ بالنسبة لمقام النبوة ذنباً، لأنَّ للأنبياء أحكاماً خاصة بينهم وبين ربهم، حتى إنَّهم ليؤاخذون على ما لا يؤاخذ عليه غيرهم، كما تقدم في كلام العلامة النسفي حول الآية.

وأما اعتذار سيدنا نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام عن التقدم للشفاعة بسبب سؤاله ربه بغير علم، فهو كما قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ أي: في نجاة ابنه، كما جرى عليه المحققون من المفسرين ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ أي: هو بعض أهلي، لأنه كان ابنه من صلبه، بدليل قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ فالله تعالى وصفه بأنه ابنه، ومَنْ أصدق من الله قيلاً؟ فهو ابنه من صُلبه حقيقة خلافاً لمن توهَّم غير ذلك ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: لا شكَّ في إنجازه والوفاء به، وقد وعدتني أن تُنجي أهلي، فما بال ولدي ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أي: فأنت أعلم الحُكام بالحِكَم والأحكام، وأعدلهم في القضاء والحُكْم ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ نفى كونه من أهله ثم بيّن علة النفي بقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾.

قال العلامة النسفي في: (تفسيره): قال الشيخ أبو منصور رحمه الله تعالى: كان عند نوح عليه السلام أَنّ ابنه كان على دينه،

---

(١) انظر: (تفسير) النسفي، والخازن، والآلوسي وغيرها.

لأنه كان يُنافق، وإلا لا يحتمل أن يقول ـ نوح ـ: ﴿ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ ويسأل ربه نجاته وقد سبق منه النهي عن مثله، بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾.

فكان نوح عليه السلام يسأل ربه نجاة ابنه على الظاهر الذي عنده، كما كان أهل النفاق يُظهرون الموافقة لنبينا عليه الصلاة والسلام، ويُضمرون الخلاف له، ولم يعلم صلى الله عليه وآله وسلم بذلك حتى أطلعه الله تعالى عليه.

وقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ أي: ليس من الذين وُعدت النجاة لهم، وهم المؤمنون حقيقة في السرِّ والظاهر. اهـ.

والمعنى: أنَّه متظاهر بالإسلام معك، ولكنه مبطن للكفر، منافق بالواقع، فهو ليس من أهلك، لقطع النسب بين المؤمن والكافر: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ أي: من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته، تأدباً بأدبك، واتعاظاً بموعظتك، ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾ الآية، وفي هذا سلام من الله تعالى وبركات على نوح عليه السلام، وعلى مَنْ معه، وعلى كل مؤمن إلى يوم القيامة.

وقد جاء في بعض روايات البخاري ومسلم ـ اعتذار نوح عليه السلام بغير ما سبق، بل بقول نوح عليه السلام: «إن لي دعوةً دعوتُ بها على قومي» وقد جمع الحافظ في: (الفتح) بين الروايتين بأن نوحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام اعتذر بأمرين:

أحدهما: نهيُ الله تعالى له أن يسأله ما ليس له به علم؛ بعد أن سأل نجاة ابنه، فخشي ـ نوح ـ أن تكون شفاعته لأهل الموقف من ذلك.

ثانيهما: أَنّ له دعوةً مُحققة الإجابة ـ أي: بالنسبة لما يتعلق بكافة أمته ـ وقد استوفاها بدعائه على أهل الأرض، فخشي أن يطلب فلا يجاب. اهـ.

قلتُ: وهذا يشير إلى ما ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لكلِّ نبيٍّ دعوة مستجابة، فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوته، وإنِّي اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة» الحديث.

وأما ما ورد في حديث الشفاعة من اعتذار الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام بسبب الكَذَبات، فإنما هي كَذَبات صُورة لا حقيقة، لأنها من باب المعاريض، وقد جاء في: (الأدب المفرد) للبخاري وفي: (السنن) للبيهقي وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ في المعاريض لمندوحةً عن الكذب» يعني: أَنّ في المعاريض متسعاً وفسْحَةً تغني الإنسان عن اللجوء إلى الكذب.

والمعاريض كما قال في: (شرح المواهب): هي جمع مِعراض كمفتاح من التعريض، وهو خلاف التصريح.

وعرفه المتقدمون بأنه ذكر لفظ مُحتمل يَفهم منه السامع خلاف ما يُريده المتكلم ـ فمن ذلك تعريضات الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام الثلاثة:

الأولى: حين قَدِم أرض جبَّارٍ ومعه زوجته سارة، وكان الجبار

يغتصِب الزوجات الحسان من أزواجهن، وقد كانت زوجة الخليل سارّة باسمها ووصفها وهيئتها.

فقال الخليل عليه الصلاة والسلام: «إذا سألكِ فقولي إنك أختي - أي: ولا تقولي له إني زوجته - فإنك أختي في الإسلام».

وهذا صريح في أَنَّ الخليل سلك مسلك التعريض في الكلام، فإنه قال لزوجته: قولي للجبار إنَّك أختي، وهذا يوهم أنها أخته نسباً، ولكنه قصد أُخوة الإسلام - وعلى هذا المنوال جاءت بقية الأجوبة الثلاثة، عَرَّض فيها تَحَفُّظاً من كيد أعدائه وإيذائهم.

والثانية: حين أراد قومه أَنْ يَخرج معهم إلى عيد لهم، قال لهم: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أوهمهم أنه سقيم، أي: مريض الجسم، ولكنه أراد سقم النفس وغمّها وضيقها ونفرتها من كفرهم - وهذا السقم أشدّ على النفس من سقم الجسم، وَقَصد من وراء هذا التعريض أن يخلو بأصنامهم، وقد فعل ذلك ولم يَترك منها سوى صنم واحد وهو أكبرها، وعلَّق الفأس برأس هذا الصنم الكبير.

فلما جاؤوا: ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

فقالت طائفة منهم: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ أي: كان يذكر الأصنام بسوء وتضليل، وسمعناه يَحلف أَنه ليكيدنَّهم، فهو الذي كسَّرها.

﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي: أحضروه على رؤوس الأشهاد في الملأ الأكبر من الناس، لعلهم يشهدون بفعله وقوله ذلك، ثم يَشهدون عقوبته الشديدة بفعله ذلك.

وكان هذا الجمع والحَفْل الكبير هو المقصود للخليل عليه

السلام، ليُبَيِّن لهم في هذا المحفل العظيم كثرة جَهلهم، وقِلَّةَ عقلهم في عبادة الأصنام، التي لا تدفع عن نفسها ضُراً، ولا تملك لها نَصْراً، فكيف يُطلب منها شيء من ذلك؟

﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ **وهذا الموضع الثالث الذي سلك** فيه الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام مسلكاً تعريضياً يُؤدِّي به إلى مقصده الذي هو إلزامهم الحجة على ألطف وجه وأحسنه، وَيَحملهم على التأمل في شأن آلهتهم، مع ما فيه من التوقِّي من الكذب.

وقد ذكر علماء التفسير: كالنسفي والآلوسي وغيرهما في ذلك وجوهاً من التعريض نذكر بعضاً منها.

١ ـ إن الخليل عليه السلام أبرز كبير الأصنام قولاً في معرض المباشر لفعل الكسر بإسناد الفعل إليه إسناداً مَجازيّاً عقلياً، كما أبرزه في ذلك المعرض فِعلاً بجعل الفأس في عنقه أو في يده.

وقد قصد الخليل عليه السلام إسناد الفعل إلى كبير الأصنام بطريق التسبب، حيث رأى الخليل تعظيمهم لهذا الصنم الكبير أشدَّ من تعظيمهم لبقية الأصنام المصطنعة حول هذا الكبير، فغضب لذلك زيادة الغضب، فَأَسند الفعل إلى كبير الأصنام إسْناداً مجازياً عقلياً، باعتبار أنه الحامل الأكبر له على فعل التكسير.

وإنما لم يكسر كبير الأصنام وإن كان مُقتضى غضبه أن يفعل ذلك ليُظهر لهم الحجة والبرهان: على أن هذا الصنم الذي يَعبدونه ويُعظمونه كل التعظيم هو حجر أصمّ، أبكم أعمى، لا يعي ولا ينطق.

٢ ـ إنَّ نسبة فعل التكسير إلى كبير الأصنام جاء من الخليل عليه السلام حكاية لما يلزم من مَذهب قومه الذين هاموا في عبادته.

قال العلامة النسفي: فكأنه قال لهم: ما تُنكرون أن يفعله كبيرهم، فإنَّ مِنْ حقِّ مَنْ يُعبَد ويُدعىٰ إلٰهاً ـ كبيراً ـ أن يَقدر على هذا.

ويُحكى أنه عليه السلام قال: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، لأنه غضب أن تُعبَد هذه الأصنام الصغار معه وهو أكبر منها. اهـ.

٣ ـ إنَّه عليه السلام لم يقصد بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ إلا إثبات الفعل لنفسه على الوجه الأبلغ، مُضمناً فيه الاستهزاء بعُبَّاد الأصنام، والتبكيت عليهم، وملزماً لهم الحجة.

كما إذا قال لك رجل أميٌّ، وقد كتَبْتَ كتاباً بخط رشيق أنيق، وأنت شهير بحسن الخط، فقال الأميُّ: أنتَ كتبتَ هذا؟ فقلتَ له: بل كتبته أنت، فإنك لم تقصد نفيه عن نفسك وإثباته للأمي، وإنما قصدت إثباته وتقريره لنفسك مع الاستهزاء بمخاطِبِكَ، وهو الأميُّ.

٤ ـ إنَّ الكلام قد تمّ عند قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ﴾ والضمير المستتر فيه يعود على فَتىً، أو إلى إبراهيم المتقدم ذكره.

وقد حكى العلامة النسفي وغيره عن الكسائي الوقف على قوله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ﴾ قال النسفي: وجاز أن يكون الفاعل مُسنداً إلى الفتى المذكور في قوله: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أو إلى إبراهيم في قوله: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ ثم قال: ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وهو مبتدأ وخبر. قال: والأكثر أنه لا وقف، والفاعل كبيرهم إلخ. اهـ.

وهذه الوجوه من التعريض مذكورة في معظم التفاسير، وهي مُفصلة في تفسير النسفي والآلوسي وغيرهما، وهناك وجوه أُخرى لهذا التعريض عَدلْنا عنها مخافة الإطالة، وفيما ذكرناه كفاية إنْ شاء الله تعالى.

وأما اعتذارُ سيدنا موسى الكليم على نبينا وعليه الصلاة والسلام عن التقدم للشفاعة بسبب قتله النفس، وعدِّ ذلك خطيئة كما تقدم:

فقد بيَّن الله تعالى ذلك في قوله: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ شايع موسى على دينه من بني إسرائيل، ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ قِبْطِيٌّ من مخالفي موسى.

﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ قال العلّامة النسفي: فضربه بجمع كفِّه، أو بأطراف أصابعه ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أماته ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ فالإشارة بقوله: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ تعود إلى القتل الحاصل بغير قصد؛ وإنما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان، وسمَّاه ظُلماً لنفسه واستغفر منه، لأنه قتله قبل أن يُؤذن له في القتل، ويدلُّ على ذلك قول موسى عليه السلام حين طُلبتْ منه الشفاعة: «وإني قتلتُ نفساً لم أؤمر بقتلها» الحديث كما تقدم.

ولذا قال ابن جُريج: ليس لنبيٍّ أن يقتل ما لم يُؤمر. اهـ.

وقيل: إن الإشارة في قوله: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ تعود إلى عمل المقتول لا إلى عمل موسى نفسه، والمعنى: أن عمل هذا المقتول من عمل الشيطان، والمراد من ذلك بيان كونه مخالفاً لأمر الله سبحانه وتعالى مستحقاً للقتل.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ أي: بقتل القبطيِّ الكافر من غير أمرٍ ﴿ فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.

فلو أَنَّ هذا القتل لتلك النفس الكافرة التي حاولت إيذاء المسلم وقتله ـ صدر من غير موسى عليه الصلاة والسلام ومن غير الأنبياء: لم يكُ يُعدّ خطيئة أصلاً.

قال العلَّامة القاضي عياض رضي الله عنه: وانظر هذه الخطايا التي ذُكرت للأنبياء من أكل آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة ناسياً، ومن دعوة نوح عليه الصلاة والسلام على قومه على قومٍ كفَّار، ومِنْ قَتْل موسى صلى الله تعالى على نبينا وعليه الكافرَ ولم يُؤمر بقتله، ومدافعة إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم الكُفَّار بقول عرَّض به هو فيه من وجهٍ صادق، وهذه كلُّها في حقِّ غيرهم ليست بذنوب، لكنهم أشفقوا منها إذ لم تكن عن أمر الله تعالى، وعُتِب على بعضهم فيها بقدر منزلتهم في معرفة الله تعالى. اهـ.

وأما اعتذار سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: فيقول: «لستُ هناكم» ويقول مهتماً بنفسه: «نفسي نفسي نفسي، لا يهمني اليوم إلا نفسي» ويقول: «إني اتُّخذت إلَهاً من دون الله» وفي رواية: «عُبدتُ من دون الله» ويقول: «أن يَغفر الله لي حسبي» إلى آخر الروايات كما تقدم.

وقول عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: «لست هناكم ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، عبداً قد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر» في هذا ما يدل على اعتراف الجميع بفضل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإقرارهم بكمال

أهليته للشفاعة حينذاك، في الوقت الذي كان التجلي فيه بالغضب، وكانوا كلهم مهتمين بأنفسهم، فإذا به صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أنا لها أنا لها».

وفي هذا دليل على أنه صلى الله عليه وآله وسلم أحبُّ المحبوبين وأقرب المقرَّبين إلى رب العالمين، وذلك أنّه لم يؤذن لأحد من مقربي البشر ولا من مقربي الملائكة عليهم الصلاة والسلام، أن يتقدم في ذلك الموقف المهيب الرهيب فيشفع عند رب العزة إلا السيد الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

رابعاً: في معنى أنَّ عيسى عليه السلام «كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه».

أما كونه «كلمة الله»: فالمراد أنه وُجِد بكلمة الله ﴿كُن﴾ من غير أب، كما قال تعالى في الجواب لوالدته السيدة مريم: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ يعني: أَنَّ صفة عيسى عليه السلام وشأنه العجيب كصفة آدم عليه السلام في خلقه من غير أبوين ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

فعيسى خُلق بلا أب، وآدم خلق بلا أبٍ وأمٍّ، فحال آدم في خلقه وشأنه أغرب وأعجب من حال عيسى عليهما السلام؛ وفي هذا إفحام للخصم، وقطع لشبهته في شأن عيسى ابن مريم عليه السلام.

فعيسى عليه السلام أَثَرُ كلمة الله التكوينية وهي قوله: ﴿كُن﴾

وهذا من باب إطلاق اسم المصدر وإرادة اسم المفعول نظير قوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ فالمراد هنا برحمة الله تعالى: الجنة، وليس المراد بذلك أنها هي ذات الرحمة الإلهية التي اتصف الله تعالى بها، بل المراد أَنّ الجنة أثر رحمة الله تعالى التي هي صفة الله تعالى.

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ والمراد برحمته هنا المطر، فإنه أثر رحمته سبحانه، وذلك قوله سبحانه: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾.

وقد يقال: إذا كان كذلك فإن جميع الأشياء الموجودة إنما وُجدت بقوله: ﴿كُن﴾ فيلزم من ذلك أن يكون العالم كله كلمات الله تعالى؛ أي: آثار كلماته التكوينية.

قلنا في الجواب: نعم، ولكن إنما اشتهر عيسى عليه السلام بذلك، ووُصف بذلك، باعتبار أنه أولى وأحقُّ، حيث إنَّ تخليقه كان على غير الطريقة المعتادة في غيره، بل على وجهٍ خارق للعادة، فَحُقَّ له أن يُخصَّص بما يُميِّزه عن غيره، ولينبِّه على أن كلمة ﴿كُن﴾ من رب العالمين لا يُعجزها شيء، ولا يجاوزها شيء.

فعيسى أثر كلمة الله ﴿كُن﴾ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ فإن الملقىٰ إلى مريم هو أثر كلمة ﴿كُن﴾ وهو عيسى المخلوق بـ ﴿كُن﴾ فلو كان عيسى نفس الكلمة أي: نفس الصفة القائمة به سبحانه فكيف تُلقى إلى مريم؟ إذ الصفة لا تفارق

الموصوف إلى غيره، ولا تلقى إلى غير من اتصف بها.

وأما أنه: «روح منه» فالمعنى: أن عيسى عليه السلام روح ابتُدىء خلقُها من الله تعالى لا من غير الله، ولا أنه بعض من الله، فـ ﴿مِن﴾ ابتدائية وليست تبعيضية.

وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يعني أن ابتداء خلق ذلك كلِّه من الله سبحانه لا من إلٰه غيره.

فمَن توهَّم أن عيسى مِن الله: بَعضاً وجزءاً يجب عليه أن يَحكم على العالم كله بسماواته وأرضه أنه بَعض من الله وجزء منه سبحانه! لأن هذا ورد أنه منه، وذلك ورد أنه منه سبحانه ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل هو الله الأحد الصمد، وأنه هو سبحانه الذي بدأ الخلق ثم يعيده.

قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ الآية.

فالعالَم بدأ خلقه من الله تعالى، ثم الله يُعيده، ومنه روح عيسى عليه السلام، بَدَأ الله تعالى خلقها كما بدأ خلق الأرواح كلها سبحانه، وكما بدأ خلق الأشباح كلها سبحانه، وكما بدأ خلق السماوات والأرض.

وفي ذلك ردٌّ على من زعم أن عيسى إلٰه ـ كلاَّ بل هو عبد الله ورسول الله، وبَدْءُ خلقه من الله تعالى.

* * *

أنـواع الشفاعـات الخاصـة

الشفاعات الخاصة أنواعها كثيرة:

منها شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوم؛ فيدخلهم الله تعالى الجنة بغير حساب، ويدل على ذلك ما تقدَّم في آخر حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فأرفع رأسي فأقول: يا ربِّ أمتي أمتي.

فيقال: يا محمد أدخِل من أمتك مَن لا حساب عليهم من الباب الأيمن، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب».

ومنها الشفاعة في قوم حوسبوا واستحقُّوا العذاب ـ أن لا يُعذَّبوا.

ويدل على ذلك ما رواه مسلم، عن حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تُزلف ـ أي: تقرَّب ـ لهم الجنة.

فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا.

فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟ لستُ بصاحب ذلك، إذهبوا إلى إبراهيم خليل الله تعالى».

قال: «فيقول إبراهيم: لستُ بصاحب ذلك، إنما كنت خليلاً من وراء وراء[1] اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً.

فيأتون موسى فيقول: لستُ بصاحب ذلك، إذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه.

فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك.

فيأتون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فيقوم فيؤذن له ـ أي: بالشفاعة ـ وتُرسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط: يميناً وشمالاً ـ أي: تقومان لتطالبا المارِّين على الصراط بحقهما ـ فيمر أوَّلكم كالبرق».

قال: قلت بأبي أنتَ وأمي يا رسول الله: أيّ شيء كالبرق؟

قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين؟ ثم

---

(١) قال الإمام النووي في: (شرحه) لمسلم: قال صاحب (التحرير): هذه كلمة تُذكر على سبيل التواضع، أي: لستُ بتلك الدرجة الرفيعة.
قال: وقد وقع لي معنى مليح فيه، وهو معناه ـ أي: معنى كلام الخليل ـ أن المكارم التي أعطيتها كانت بواسطة سفارة جبريل عليه السلام، ولكن ائتوا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فإنه حصل له سماع الكلام بغير واسطة.
قال: وإنما كرر «وراء وراء» لكون نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حصل له السماع بغير واسطة، وحصل له الرؤية، فقال إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم: أنا وراء موسى الذي هو وراء محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين ـ هذا كلام صاحب التحرير. اهـ كلام النووي.
وفي هذا بيان فضل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الجميع.

كمرِّ الريح، ثم كمرِّ الطير، وشدِّ الرجال ـ تجري بهم أعمالهم.

ونبيُّكم قائم على الصراط يقول: ربِّ سلِّم سلِّم ـ حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً».

قال: «وفي حافتَي الصراط ـ أي: على جانبيه ـ كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أُمِرت به، فمخدوش ناجٍ، ومكدوس في النار.

والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً»[1].

المخدوش الناجي: هو المجروح الذي خُدش ولكنه نُجِّي من الوقوع في النار، والمكدوس هو الموقوع في النار.

وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يُوضع للأنبياء منابر من نور، يجلسون عليها، ويبقى منبري لا أجلس عليه؛ قائماً بين يَدَيْ ربي مخافة أن يُبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي.

فأقول: يا ربِّ أمتي أمتي.

فيقول الله عزّ وجل: يا محمد ما تريد أن أصنع بأمتك؟

فأقول: يا ربِّ عَجِّلْ حسابهم.

---

(١) قال الإمام النووي: ووقع في معظم الأصول والروايات لسبعين بالياء وهو صحيح أيضاً.
أما على مذهب من يحذف المضاف ويُبقي المضاف إليه على جره، فيكون التقدير سير سبعين خريفاً.
وأما على أن قعر جهنم مصدر، يقال قعرت الشيء إذا بلغت قعره، ويكون سبعين ظرف زمان، وفيه خبر إن، والتقدير إن بلوغ قعر جهنم لكائن في سبعين خريفاً. والخريف: هو السَّنَة والله أعلم. اهـ.

فيُدعى بهم فيُحاسبون.

فمنهم مَن يدخل الجنة برحمته، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، فما أزال أشفع حتى أُعطىٰ صِكاكاً ـ أي: كتباً ـ برجال قد بُعث بهم إلى النار، حتى إن مالكاً خازن النار ليقول: يا محمد ما تركتَ لغضب ربك في أمتك مِنْ نقمة»[1].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أشفع لأمتي حتى يناديني ربي تبارك وتعالى فيقول: أقَدْ رضيتَ يا محمد؟ فأقول: أيْ ربِّ قد رضيت»[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خُيِّرتُ بين الشفاعة أو يَدخُل نصف أمتي الجنة؟ فاخترت الشفاعة، لأنها أعمّ وأكفى، أَمَا إنها ليست للمؤمنين المتقدمين، ولكنها للمذنبين الخطَّائين المُتَلوِّثين»[3].

ومن أنواع الشفاعة الخاصة: الشفاعة في إخراج عصاة المؤمنين من النار:

روى مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لكلِّ نبي دعوة مستجابة، فتعجَّل كلّ

---

(١) قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في: (الكبير) و(الأوسط) والبيهقي في: (البعث) وليس في إسنادهما متروك. اهـ.

(٢) قال في (الترغيب): رواه البزار، والطبراني، وإسناده حسن إن شاء الله اهـ.

(٣) قال في (الترغيب): رواه أحمد، والطبراني واللفظ له وإسناده جيد، ورواه ابن ماجه من حديث أبي موسى رضي الله عنه بنحوه. اهـ.

نبيٍّ دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أُمَّتي لا يشرك بالله شيئاً».

والمراد أَنّ لكل نبي دعوة تتعلق بعامة أمته؛ محقَّقةَ الإجابة، كما بيَّن ذلك القاضي عياض رحمه الله تعالى ـ فإن أدعية الأنبياء مجابة.

قال الإمام النووي رضي الله عنه: وفي هذا الحديث بيانُ كمال شفقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أمته، ورأفته بهم، واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة، فأخَّر دعوته لأمته إلى أهمِّ أوقات حاجاتهم.

قال: وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فهي نائلة إن شاء الله تعالى مَن مات من أُمتي لا يشرك بالله شيئاً» ففيه دلالة لمذهب أهل الحق أَنَّ كل من مات غير مشرك بالله تعالى لم يخلد في النار؛ وإن كان مُصِرّاً على الكبائر.

قال رحمه الله تعالى: وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن شاء الله تعالى» هو على جهة التبرّك، والامتثال لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ والله أعلم. اهـ.

وروى البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيدخلون الجنة يُسَمَّون الجُهَنَّمِيِّيْن».

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يخرج من النار قوم بالشفاعة كأنهم الثَّعارير».

قلنا: وما الثعارير؟

قال: «الضغابيس»[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يدخل من أهل هذه القبلة النار مَن لا يُحصي عددهم إلا الله؛ بما عصوا الله، واجترؤوا على معصيته، وخالفوا طاعته».

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فيُؤذَن لي في الشفاعة فَأُثني على الله ساجداً كما أُثني عليه قائماً، فيقال لي: ارفع رأسك، وسل تعطهْ، واشفع تُشفَّع»[2].

حال العُصاة في جهنم

روى الإمام مسلم، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يَحيَون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ـ أو قال: بخطاياهم ـ فأماتتهم إماتة حتى إذا كانوا فَحماً: أُذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائرَ ضبائرَ، فبُثُّوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحِبَّة تكون في حَميل السيل».

---

(١) الثعارير: جمع ثعرور كعصافير جمع عصفور. والضغابيس: جمع ضغبوس وهو صغار القثَّاء.

(٢) قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في: (الكبير) و(الصغير) بإسناد حسن. اهـ.

فقال رجل من القوم: كأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كان بالبادية.

قال الإمام النووي: والظاهر ـ والله أعلم ـ من معنى هذا الحديث: أن الكفار الذين هُم أهل النار، والمستحقون للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون حياةً ينتفعون بها ويستريحون معها كما قال الله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ وكما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

وهذا جارٍ على مذهب أهل الحق: أَن نعيم أهل الجنة دائم، وأن عذاب أهل الخلود في النار دائم ـ أي: خلافاً للجهمية في ذلك ـ.

قال رحمه الله تعالى: وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ولكن ناس أصابتهم النار» إلى آخره، فمعناه: أن المذنبين من المؤمنين يُميتهم الله تعالى إماتة بعد أن يُعذَّبوا المدة التي أرادها الله تعالى، وهذه الإماتة إماتة حقيقية، يذهب معها الإحساس، ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم، ثم يميتهم ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس ـ المدة التي قدرها الله تعالى ـ ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فَحماً، فَيُحملون ضبائر ضبائر ـ أي: جماعات جماعاتٍ ـ كما تُحْمل الأمتعة، ويُلْقون على أنهار الجنة، فيصبُّ عليهم ماء الحياة فيحيون وينبتون ـ أي: تنبت أجسادهم ـ نبات الحِبَّة في حميل السيل في سرعة نباتها وضعفها، فتخرج لضعفها صفراءَ ملتوية، ثم تشتدّ قوتهم بعد ذلك، ويصيرون إلى منازلهم، وتكمل أحوالهم.

قال رحمه الله تعالى: فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه.

قال: وحكى القاضي عياض رحمه الله تعالى فيه ـ أي: في معنى الحديث ـ وجهين:

أحدهما: أنها إماتة حقيقية ـ أي: كما تقدم تفصيله ـ.

والثاني: ليست بموت حقيقي، ولكن يُغَيَّبُ عنهم إحساسهم بالآلام ـ أي: بدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فأماتتهم إماتة» أي: نوعاً من الإماتة غير الموتة المعهودة ـ.

قال: ويجوز أن تكون آلامهم أخفَّ ـ يعني: أَنَّ تَحسُّس العُصاة بالعذاب يكون أخف من تحسس الكفار؛ بسبب الإيمان في قلوبهم، فإن النار لا تطَّلع على أفئدتهم، بخلاف الكفار فإنَّ النار تَعُمّ كلّ ذرةٍ فيهم، حتى إنها تطلع على أفئدتهم ـ عياذاً بالله تعالى.

قال الإمام النووي: فهذا كلام القاضي، والمختار ما قدَّمناه والله أعلم. اهـ.

الشفاعة في عُصاة المؤمنين وإخراجهم من النار على طبقات مختلفة في المُدّة

روى الشيخان، عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض.

فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك.

فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن.

فيأتون إبراهيم فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله.

فيأتون موسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى عليه السلام، فإنه روح الله وكلمته.

فيأتون عيسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فيأتوني فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي، ويُلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأَخِرُّ له ساجداً.

فيقال: يا محمد: ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، وسلْ تعطه، واشفع تشفَّع.

فأقول: يا ربِّ أمتي أمتي.

فيقال: انطلق، فأخْرِجْ منها ـ أي: النار ـ مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، وأخِرّ له ساجداً.

فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، وسلْ تعطهْ، واشفعْ تشفع.

فأقول: يا ربِّ أمتي أمتي.

فيقال: انطلقْ فأخرِج مَن كان في قلبه مثقال ذرةٍ؛ أو خردلة من إيمان.

فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخِرّ له ساجداً.

فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل: يُسمع لك، وسل تعطهْ، واشفع تشفع.

فأقول: يا ربِّ أمتي أمتي.

فيقال: انطلقْ فأخرِج مَن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبَّة خردلةٍ من إيمان فأخرِجْه من النار.

فأنطلق فأفعل ـ ثم أعود الرابعة: فأحمده بتلك المحامد، وأخرُّ له ساجداً.

فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل: تسمع، وسل تعطهْ، واشفع تشفع.

فأقول: يا ربِّ إئذن لي فيمن قال: لا إلَه إلا الله.

قال: ليس ذلك لك، ولكن وعزَّتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي لأُخرجنّ منها مَن قال: لا إلَه إلا الله».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلتُ: يا رسول الله ماذا رَدَّ إليك ربك في الشفاعة؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسُ محمدٍ بيده لقد ظننتُ أنك أول من يسألني عن ذلك من أمتي، لما رأيت من حرصك على العلم.

والذي نفس محمد بيده: لَمَا يَهُمُّني من انقصافهم[1] على

---

(١) قال ابن الأثير في: (النهاية) مفسراً لهذه الجملة: يعني استسعادَهم بدخول الجنة ـ أي: حصول السعادة لهم بدخول الجنة ـ وأن يتمَّ لهم ذلك أهمّ عندي من أن أبلغ أنا منزلة الشافعين المشفَّعين، لأن قبول =

أبواب الجنة أهمّ عندي من تمام شفاعتي لهم، وشفاعتي لمن شهد أن لا إلّه إلا الله مخلصاً وأن محمداً رسول الله: يصدِّق لسانُه قلبَه وقلبُه لسانه»[1].

وروى البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله مَن أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولَ منك لما رأيت من حرصك على الحديث.

أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة مَن قال: لا إلّه إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه».

شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في رفعة الدرجات في الجنة

ورد في الأحاديث النبوية أن هناك شفاعة خاصة معلقة على أسباب خاصة، فمن جاء بذلك السبب نال تلك الشفاعة، فإن كانت له ذنوب ومعاصٍ لم يتب منها غفر الله تعالى له بتلك الشفاعة حسب مشيئة الله تعالى وحكمته، وإن لم تكن له ذنوب ومعاص رُفعت درجاته في الجنة بسبب تلك الشفاعة.

= شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم كرامة له، فوصولهم إلى مبتغاهم ـ وهو الجنة ـ آثر عنده من نيل هذه الكرامة، لفرط شفقته على أمته صلى الله عليه وآله وسلم. اهـ.

(١) رواه الإمام أحمد، وابن حبان في: (صحيحه) كما في: (ترغيب) المنذري.

فمن تلك الأسباب:

سؤال الدعاء بالوسيلة والمقام المحمود عقب الأذان:

روى مسلم وأصحاب السنن، عن ابن عمرو رضي الله عنهما، أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إذا سمعتم المؤذِّن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه مَن صلى عليّ صلاة صَلَّىٰ الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنَّها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو ـ فمن سأل الله لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة».

وروى البخاري وأصحاب السنن، عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَن قال حين يسمع النداءِ: اللهمّ ربَّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ـ حلَّت له شفاعتي يوم القيامة».

وزاد البيهقي في روايته: «إنك لا تخلف الميعاد».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول إذا سمع المؤذن: «اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، صلِّ على محمدٍ، وأعْطه سُؤْله يوم القيامة».

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يُسمعها مَن حوله، ويُحبُّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يقولوا مثل ذلك إذا سمعوا المؤذن.

قال: «ومَن قال مثل ذلك إذا سمع المؤذن وجبتْ له شفاعة

محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة»[1].

ومن أسباب شفاعته الخاصة: زيارته الكريمة صلى الله عليه وآله وسلم:

فعن حاطب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات بأحد الحرمين بُعث من الآمنين يوم القيامة»[2].

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «مَن زار قبري ـ أو قال: من زارني ـ كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بَعثه الله في الآمنين يوم القيامة»[3].

وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن مات في أحد الحرمين بُعث من الآمنين يوم القيامة[4]، ومَن زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة»[5].

---

(١) قال المنذري: رواه الطبراني في: (الكبير) و(الأوسط). اهـ.

(٢) قال الحافظ المنذري: رواه البيهقي عن رجل من آل حاطب لم يُسَمِّهِ من حاطب. اهـ.

(٣) قال المنذري: رواه البيهقي وغيره عن رجل من آل عمر لم يُسَمِّه عن عمر رضي الله عنه. اهـ.

(٤) وفي هذا بشرى لمن مات في أحدهما بالموت على الإسلام، إذ لا يبعث من مات على غير الإسلام آمناً.

(٥) قال الحافظ الزرقاني: أي: كان في أماني وعهدي، فلا يناله مكروه ـ والمراد أن له منزلة رفيعة في الآخرة. اهـ.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من زار قبري وجبتْ له شفاعتي»[1].

أي: يخصه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشفاعة ليست لغيره إما: بزيادة نعيم، أو تخفيف هول ذلك اليوم عنه، أو دخول الجنة بغير حساب، أو رفع درجاته في الجنة، أو بزيادة شهود الحق تعالى والنظر إليه، أو بغير ذلك من أنواع الإنعام والإكرام.

وفي: (المعجم الكبير) للطبراني، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَن جاءني زائراً لا تُعمله ـ أي: لا تحمله على العمل حاجة ـ إلا زيارتي: كان حقاً عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»[2].

ويكفي بهذه الأحاديث التي ذكرناها، وتنوّع رواياتها، وكثرة طرقها: دليلاً صريحاً في مشروعية زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحثه عليها، وترغيبه صلى الله عليه وآله وسلم فيها، وبيانه لفضائل زيارته الكريمة ـ نسأل الله العظيم قبولها، واستمرارها، بجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندالله تعالى.

ومن أسباب شفاعته الخاصة صلى الله عليه وآله وسلم: الموتُ

---

(١) قال في: (المواهب وشرحها): رواه الدارقطني، وأبو الشيخ، وابن أبي الدنيا كلهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه عبد الحق في: (أحكامه الصغرى) و(الوسطى) وسكت عنه، وسكوته عن الحديث فيه دليل على صحته. اهـ.

(٢) قال القسطلاني: صححه ابن السكن، وهو من كبار الحفاظ النقاد. اهـ.

في مدينته الطيبة، والصبر على لأوائها ـ زادها الله تعالى شرفاً ورفعةً، ونفحنا الله تعالى بنفحاتها الطيبة.

روى الترمذي، عن ابن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَن استطاع أن يموت بالمدينة فليمتْ بها؛ فإني أشفع لمن يموت بها».

ورواه ابن ماجه بلفظ: «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل؛ فإني أشهد لمن مات بها».

وروى الطبراني بإسناد حسن، عن امرأة يتيمة كانت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ثقيف، أَنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإنَّ مَن مات بها كُنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة».

وروى مسلم، عن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إني أحرِّم ما بين لابَتَي المدينة ـ أي: حرَّتَيْها وطرفيها ـ أن يُقطَع عِضاهها[1] أو يُقتل صيدها».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبةً عنها إلا أَبدل الله فيها مَن هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها[2] وجُهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة».

---

(١) قال في: (الترغيب): العضاه بكسر العين المهملة، وبالضاد المعجمة، وبعد الألف هاء ـ جمع عِضَاهة، وهي شجرة الخمط، وقيل: بل كل شجرة ذات شوك، وقيل: مَا عظم منها. اهـ.

(٢) اللأواء بالهمز والمدِّ هي: شدة الضيق. اهـ: (ترغيب).

وزاد مسلم في رواية: «ولا يُريد أحد أهلَ المدينة بسوء إلا أذابه الله تعالى في النار ذوب الرصاص؛ أو ذوب الملح في الماء».

وعن عبد الله بن عبَّاد رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أول من أشفع له أهلُ المدينة، ثم أهل مكة، ثم أهل الطائف»[1].

ومن أسباب شفاعته الخاصة كثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم:

روى الترمذي، وابن حبان في: (صحيحه) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ أولى الناس بي يوم القيامة ـ أي: أحقهم بشفاعتي وبإكرامي ـ أكثرُهم عليّ صلاةً».

وعن رويفع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن قال: اللهم صلِّ على محمد، وأنزله المقعد المقرَّب عندك يوم القيامة ـ وجبتْ له شفاعتي»[2].

---

(١) رواه البزار في: (مسنده)، وابن شاهين، وأخرجه ابن بكار من طريق أُخرى، كما في: (شرح المواهب).

(٢) قال المنذري: رواه البزار، والطبراني في: (الكبير) و(الأوسط)، وبعض أسانيدهم حسن. اهـ.
وقال في: (المواهب وشرحها) قال ابن كثير: وإسناده حسن ولم يُخرجوه اهـ.ـ أي: لم يخرجه أصحاب السنن ونحوهم، ولا يضر ذلك إسناده.

والمراد هنا بالمقعد المقرَّب: أعلى منازل الجنة، وهو مقام الوسيلة، فإنها أعلى منزلة في الجنة.

وروى الإمام أحمد، عن أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه، أَنَّ رجلاً قال: يا رسول الله أرأيتَ إن جعلتُ صلاتي كلَّها عليك؟ ـ أي: جعلت دُعائي كلَّه صلاة عليك ـ

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذاً يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمَّك من دنياك وآخرتك»[1].

وأخرج الطبراني بسند جيد، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن صلى عليّ حين يصبح عشراً، وحين يمسي عشراً: أدركته شفاعتي يوم القيامة».

وأخرج البيهقي في: (الشُّعب) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة، وليلة الجمعة، فمن فعل ذلك كنت له شهيداً أو شافعاً يوم القيامة»[2].

* * *

---

(١) قال الحافظ المنذري: وإسناده جيد. اهـ.
قلت: وهذا الحديث جاء بروايات أطول من هذه في: (سنن) الترمذي مع تصحيح له، والطبراني وتحسينه، والحاكم.
(٢) انظر: (الخصائص الكبرى).

شفاعات الأنبياء والملائكة والصِّديقين والعلماء والشهداء والصالحين

قال الله تعالى في الكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾.

وفي مفهوم هذه الآية دلالة على أن هناك شفعاء يشفعون، وأن المسلمين ينتفعون بشفاعتهم، ولكن الذي يفتح باب الشفاعة للشفعاء ـ وهو شفيع الشفعاء ـ هو: سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

روى الدارمي، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا أول الناس خروجاً إذا بُعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا شافعهم إذا حُبسوا، وأنا مبشِّرهم إذا أيسوا، ولواء الكرم بيدي، ومفاتيح الجنة بيدي، ولواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر، يطوف عليَّ ألفُ خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون».

ورواه الترمذي، والبيهقي، وأبو يعلى كما في: (الخصائص الكبرى).

وجاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والبزار وأبو يعلى، وابن حبان في: (صحيحه) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفيه

فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: «أيْ ربِّ جعلتني سيِّد ولد آدم ولا فخر، وأولَ من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه ليرد عليَّ الحوض أكثر ما بين صنعاء وأيلة.

ثم يقال: أُدعوا الأنبياء، فيجيء النبي ومعه العصابة ـ أي: الجماعة الكثيرة ـ والنبي معه الخمسة والستة، والنبي ليس معه أحد؛ فيشفعون.

ثم يقال: أُدعوا الصديقين فيشفعون.

ثم يقال: أُدعوا الشهداء فيشفعون فيمن أرادوا» الحديث كما في: (ترغيب) المنذري.

وجاء في الحديث الطويل المتفق عليه، وفيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «فيقول الله تعالى شفَعتِ الملائكة، وشفَع النبيون، وشفَع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين» الحديث.

وروى ابن ماجه، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء».

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ليدخلنَّ الجنة بشفاعة رجل ليس بنبيٍّ مثلُ الحيَّيْن: ربيعة ومضر».

فقال رجل: يا رسول الله وما ربيعة من مضر؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما أقولُ ما أُقوَّل»[1].

---

(١) قال في: (الترغيب): رواه أحمد بإسناد جيد. اهـ.

وقد ذكر في: (شرح الإحياء) نقلاً عن الحافظ فيما رواه في جزء أبي عمرو بن السماك وفيه: فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل هو عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: وإسناده حسن. اهـ.

وروى الطبراني، عن أبي أُمامة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أُمتي أكثر من عدد مضر، ويشفع الرجل في أهل بيته، ويشفع على قدر عمله»[1].

وروى الترمذي، عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إنَّ من أمتي مَن يشفع للفئام ـ أي: للجماعات والقبائل ـ ومنهم مَن يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعُصبة، ومنهم من يشفع للرجل ـ حتى يدخلوا الجنة» ورواه الإمام أحمد.

وروى الترمذي وابن ماجه، عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ قرأ القرآن فاستظهره ـ أي: أجاد حفظه ـ فأحلَّ حلاله، وحرّم حرامه، أدخله الله الجنة، وشفَّعه في عشرة من أهل بيته قد وجبت لهم النار».

وروى ابن ماجه، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يُصَفّ أهل النار، فيمرّ بهم أهل الجنة فيقول الرجل منهم ـ أي: من أهل النار ـ يا فلان: أما تعرفني؟ أنا الذي سقيتك شَربة، وقال بعضهم: أنا الذي وهبت لك وَضوءاً

---

(١) انظر: (شرح الإحياء) للزبيدي.

ـ أي: ماء للوضوء ـ فيشفع له ـ أي: ذلك المؤمن الصالح ـ فيدخله الله الجنة».

قال في: (المرقاة): وعلى هذا القياس: مِن لُقمةٍ، وخرقة، أو نوع إعانة، أو جنس عطية، ولو بِشقِّ تمرة، أو كلمة طيبة، فإنَّ الغريق يتعلَّق بكل حشيش.

ثم قال: وفيه تحريض على الإحسان مع المسلمين؛ لا سيما مع الصلحاء، والمجالسة معهم، ومحبتهم، فإن محبتهم زين في الدنيا ونور في العقبىٰ. اهـ.

وقد أوضح في: (المرقاة) أن المراد بأهل النار هنا هم عصاة المؤمنين، فإنهم يُصفُّون حتى يمرَّ بهم أهل الجنة من العلماء الأخيار، والصلحاء الأبرار.

قال: وتكون هيئة العصاة على هيئة المساكين السائلين في طريق الأغنياء في هذه الدار.

* * *

إكرام الله تعالى لهذه الأمة

بشفاعات خاصة من رسولها سيدنا محمد ﷺ

إن سيدنا محمداً ﷺ له شفاعة عامّة تعمُّ جميع أهل الموقف : بَرّهم وفاجرهم ، ومؤمنهم وكافرهم ، ينقذهم من أهوال الموقف وكرباته ، وشدائده وأهواله الشديدة المديدة .

وله ﷺ شفاعات خاصة بأمته وهي أنواع متعددة :

شفاعته في أهل الكبائر من أمته قد استحقوا العذاب ولكن يغفر الله تعالى لهم بشفاعته ﷺ .

وهناك شفاعات في أهل الكبائر قد استحقوا العذاب، ودخلوا النار، فيشفع بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من النار على طبقات ، وعلى أصنافٍ متعددة ، ولولا شفاعاته بهم ﷺ لبقوا مدداً طويلة وآماداً مديدة : ويدلك على ذلك الأحاديث الآتية :

الشفاعة العامَّة

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (أُتِي لرسول الله ﷺ : يوماً بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة :

فقال ﷺ : « أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك ؟

يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فَيَسمَعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب

ما لا يطيقون ، وما لا يحتملون .

فيقول بعض الناس لبعض : ألا تَرَوْن ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟.

فيقول بعض الناس لبعض : إئتوا آدم .

فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ــ إشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ ــ أي : من الهم والكرب .

فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته .

نفسي نفسي إذهبوا إلى غيري إذهبوا إلى نوح ﷺ .

فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض ، وسمّاك الله عبداً شكوراً ، إشفع لنا إلى ربك ــ ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ .

فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتُ بها على قومي .

نفسي نفسي إذهبوا إلى إبراهيم ﷺ .

فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ــ ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟

فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ــ وذكر كَذَباته .

نفسي نفسي إذهبوا إلى غيري إذهبوا إلى موسى ﷺ .

فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله ، فضّلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك — ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بَلَغنا ؟

فيقول لهم موسى ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها .

نفسي نفسي إذهبوا إلى عيسى ﷺ .

فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله ، وكلّمْتَ الناس في المهد ، وكلمةٌ منه ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، فاشفع لنا إلى ربك — ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟

فيقول لهم عيسى ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله .

نفسي نفسي إذهبوا إلى غيري ، إذهبوا إلى محمد ﷺ .

فيأتوني فيقولون : يا محمد أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، إشفع لنا إلى ربك — ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بَلَغَنا ؟

قال ﷺ : فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي .

ثم يقول سبحانه : **يا محمد : إرفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسَلْ تعطه ، واشفع تُشَفَّع .**

فأرفع رأسي فأقول : يا رب أمتي أمتي .

فيقال : يا محمد أدخِل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ».

قال ﷺ : « والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبُصرى » .

وأصل هذا الحديث متفق عليه لدى الصحاح والسنن والمسانيد . فهو ﷺ يشفع أولاً في أهل الموقف عامة ، ثم يشفع الشفاعات الخاصة :

شفاعته ﷺ بالمذنبين من أمته :

روى الشيخان واللفظ لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجَّلَ كل نبيٍّ دعوته ، وإني أخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله مَنْ مات لا يُشرك بالله شيئاً » .

والمعنى : أن كل نبي له دعوة عامة في أمته ، ظاهرة الأثر فيهم ، وهي مستجابة لا محالة ، يدل على ذلك الرواية الثانية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل نبي دعوة دعا بها في أمته ، فاستجيب له ، وإني أريد إن شاء الله أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

وروى الطبراني والبزار بسند جيد عن عبد الرحمن بن أبي عقيل رضي الله عنه قال : (انطلقت في وفدٍ إلى رسول الله ﷺ فقال قائل منا : يا رسول الله : ألا سألتَ ربكَ مُلكاً كملك سليمان ؟.

قال : فضحك رسول الله ﷺ ثم قال : « فلعلَّ لصاحبكم ـ أي رسولكم محمد ﷺ ـ عند الله أفضل من ملك سليمان .

إن الله لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة .

منهم من اتخذها دنيا ـ أي : في منافع الدنيا لأمته ـ فأعطيها .

ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فأهلكوا بها ـ أي: كنوح عليه السلام ـ

وإن الله تعالى أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعةً لأمتي يوم القيامة ») .

شفاعته ﷺ بالعصاة المذنبين

استحقوا العذاب فلم يدخلوا النار بشفاعته ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » رواه أبو داود وغيره من أصحاب السنن .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في حديثه عن رسول الله ﷺ أنه يقوم بين يدي ربه فيقول : « يا رب : أمتي أمتي .

فيقول الله عزَّ وجلَّ : يا محمد ما تريد أن أصنع بأمتك ؟.

فأقول : يا ربِّ عجِّل حسابهم .

فيدعى بهم فيحاسَبُون .

فمنهم مَنْ يدخل الجنة برحمته .

ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي .

فما أزال أشفع حتى أعطى صِكاكاً – أي : كتباً – برجال – أي : بأسماء رجال – قد بُعث بهم إلى النار ، حتى إن مالكاً خازن النار ليقول : يا محمد ما تركتَ لغضب ربك في أمتك من بقية »[1] .

وروى أصحاب السنن عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » .

وهذا سجل شفاعته ﷺ بمن له ذنوب وكبائر ، استحقوا العذاب فجاءت شفاعته بهم فلم يدخلوا النار كما تقدم .

ويشمل المذنبين من أهل الكبائر الذين استحقوا العذاب فدخلوا النار بذنوبهم ، ثم أُذن له ﷺ بالشفاعة بهم قبل مضي مدتهم التي استحقوها ، فيخرجهم على طبقات متفاوتة ، كما سيتضح لك إن شاء الله تعالى .

---

(١) قال المنذري : رواه الطبراني في (الكبير والأوسط) والبيهقي في (البعث) وليس في إسنادهما من ترك . اهـ .

شفاعته ﷺ فيمن دخلوا النار بذنوبهم فيخرجهم على أصناف

روى الشيخان واللفظ لمسلم عن أنس رضي الله عنه قال : حَدثنا محمد رسول الله ﷺ قال :

« إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض .

فيأتون آدم فيقولون : اشفع لذريتك فيقول : لست لها ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله ــ هكذا الرواية ولم يذكر نوحاً اختصاراً ــ .

فيأتون إبراهيم فيقول : لست لها ولكن عليكم بموسى عليه السلام فإنه كليم الله .

فيؤتى موسى فيقول : لست لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روح الله وكلمته .

فيؤتى عيسى فيقول : لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ .

فأوتى فأقول : أنا لها .

فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه ــ أي: ذلك الحمد ــ الآن يلهمنيه الله تعالى ، ثم أخِرّ ساجداً .

فيقال لي : يا محمد إرفع رأسك ، وقل يُسمع لك وسَلْ تعطه ، واشفع تشفَّع .

فأقول : يا رب : أمتي أمتي .

فيقال : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بُرَّةٍ أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها .

فأنطلق فأفعل .

ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخرُّ له ساجداً .

فيقال لي : يا محمد ارفع رأسك ، وقل : يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفَّع .

فأقول : يا رب : أمتي أمتي .

فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان فأخرجه منها .

فأنطلق فأفعل .

ثم أعود إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخرُّ له ساجداً .

فيقال لي : يا محمد ارفع رأسك ، وقل : يسمع لك ، وسلْ تعطه ، واشفع تشفع .

فأقول ياربِّ : أمتي أمتي .

فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار .

فأنطلق فأفعل » .

وروى مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أمَّا أهل النار الذين هم أهلها ــ أي: الكفار بأنواعهم ــ فإنهم

لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس — أي : مسلمون — أصابتهم النار بذنوبهم — أو قال : بخطاياهم — فأماتتهم إماتة ، حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجيء بهم ، ضبائر ضبائر — أي : جماعات بعد جماعات — فبثُّوا على أنهار الجنة .

ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم — أي : من نهر الحياة — فينبتون نبات الحبّة تكون في حميل السيل » .

فقال رجل من القوم : كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية — أي : لأنه يعرف أحوال البادية وأجواءها — .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : والظاهر والله أعلم من معنى هذا الحديث أن الكفار الذين هم أهل النار والمستحقون للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون حياة ينتفعون بها ويستريحون كما قال تعالى فيهم : ﴿ لا يُقْضَى عليهم فَيَموتوا ولا يُخَفَّفُ عنهم من عذابها ﴾ ، وكما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ .

قال رحمه الله تعالى : وأما قوله ﷺ : « ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم » إلى آخره ، فمعناه : أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى .

وهذه إماتة حقيقية يذهب معها الإحساس ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم ، ثم يميتهم ، ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس فحماً ، فيحملون ضبائر ضبائر — أي : جماعات جماعات — كما تحمل الأمتعة ويلقون على أنهار الجنة ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فيحيون وينبتون — أي : تنبت أجسادهم — نبات الحبة في حميل السيل : في سرعة نباتها

وضعفها ، فتخرج لضعفها صفراء ملتوية ، ثم تشتد قوتهم بعد ذلك ، ويصيرون إلى منازلهم ــ أي : في الجنة ــ وتكمل أحوالهم ، **قال رحمه الله تعالى** : فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه . ا هـ .

قال عبد الله غفر الله له : وهذا القول مبني على أن الموت لم يذبح بين الجنة والنار على السور عند دخول المعذبين النار ، وإنما يذبح بعدما يخرج العصاة كلهم من النار ويدخلون الجنة ، ولا يبقى في النار إلا المخلدون أبداً .

قال ﷺ :«يؤتى بالموت كأنه كبش أملح ، حتى يوقف على السور بين الجنة والنار ثم يقال:يا أهل الجنة ، ويا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت فيضجع ويذبح »

قال ﷺ : « فلولا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة بالحياة والبقاء لماتوا فرحاً ، ولولا أن الله تعالى قضى لأهل النار بالحياة والبقاء لماتوا ترحاً » .

فالموت يموت بالذبح ، فلا يبقى موت لأهل الجنة ، ولا لأهل النار .

ثم قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : وحكى القاضي عياض رحمه الله تعالى فيه : ـ أي : في معنى الحديث السابق ـ وجهين :

أحدهما : إماتة حقيقية ــ أي : كما تقدم ــ .

والثاني : ليست بموت حقيقي ، ولكن يغيب عنهم إحساسهم بالآلام ــ أي : بدليل قوله ﷺ : «فأماتتهم إماتة » ــ أي : نوعاً من الإماتة غير المعهودة .

قال : ويجوز أن تكون آلامهم أخفّ . اهـ .

يعني : أن تحسس العصاة بالعذاب يكون أخف من تحسس الكفار بسبب الإيمان في قلوبهم ، فإن النار لا تطلع على أفئدتهم ، بخلاف الكفار فإن النار تطلع على أفئدتهم ، وتعم كل ذرة فيهم — عياذاً بالله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ نار الله الموقدة . التي تطلع على الأفئدة ﴾ .

ثم قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : فهذا كلام القاضي — والمختار ما قدمناه والله أعلم . اهـ

العصاة الذين يخرجون من النار

بشفاعته صلى الله عليه وآله وسلم

لا يحصي عددهم إلا الله تعالى

روى الطبراني في (الكبير والصغير) بإسناد حسن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يدخل من أهل هذه القبلة النار مَنْ لا يحصي عددهم إلا الله بما عصوا الله تعالى ، واجترؤا على معصيته ، وخالفوا طاعته ، فيؤذن لي في الشفاعة ، فأثني على الله تعالى ساجداً كما أثني عليه قائماً — أي : بين يدي رب العزة تحت عرشه — . فيقال لي : يا محمد ارفع رأسك ، وسَلْ تعطه واشفع تشفَّع » .

شفاعته ﷺ بأمته واسعة رحمةً بأمته

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « خُيِّرتُ بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعمُّ وأكفى .

أَمَا إنها ليست للمؤمنين المتقدمين ــ أي : السلف الصالح من هذه الأمة المحمدية ﷺ ــ ولكنها للمذنبين الخطَّائين المتلوِّثين »[1] .

وفي حديث عوف بن مالك رضي الله عنه الطويل قال : فقال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بما خيَّر لي ربي آنفاً ».

قلنا : بلى يا رسول الله .

قال : « خيّر ني ربي بين أن يدخل ثلثي أمتي الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وبين الشفاعة ».

قلنا : يا رسول الله ما الذي اخترت ؟

قال : « اخترت الشفاعة » .

قلنا جميعاً : يا رسول الله اجعلنا من أهل شفاعتك .

فقال : « إن شفاعتي لكل مسلم »[2] .

وفي رواية ابن حبان قال رسول الله ﷺ : « أتاني آتٍ من ربي فخيَّرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة » .

فقال القوم : يا رسول الله اجعلنا منهم .

فقال ﷺ : « أنصتوا أنصتوا » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « هي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً » .

---

(١) قال الحافظ المنذري : رواه أحمد والطبراني واللفظ له وإسناده جيد ، ورواه ابن ماجه من حديث أبي موسى الأشعري بنحوه . اهـ .

(٢) قال المنذري : رواه الطبراني بأسانيد أحدها جيد ، ورواه ابن حبان في (صحيحه) بنحوه . اهـ .

الله تعالى
يرضي حبيبه محمداً ﷺ في أمته ولا يسوؤه

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم : ﴿ رَبِّ إنهنَّ أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾ .

وقال عيسى عليه السلام : ﴿ إنْ تُعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

فرفع ﷺ يديه وقال : « اللهم أمتي أمتي وبكى »

فقال الله عزَّ وجلَّ : « يا جبريل اذهب إلى محمد — وربك أعلم — فسَلْه ما يبكيك » ؟

فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال — وهو أعلم — .

فقال الله تعالى : « يا جبريل إذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك » .

اللهم اجعلنا من خاصة أمته ﷺ بجاهه عندك .

وروى البزار والطبراني بإسناد حسن عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « أشفع لأمتي حتى يناديني ربي تبارك وتعالى فيقول : أقد رضيت يا محمد ؟ فأقول : إي ربِّ رضيت » .

فلا يزال ﷺ يشفع بأمته حتى لا يبقي أحداً من العصاة في النار ، ويخرجهم على طبقات متفاوتة كما تقدم .

شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم بمَنْ قال لا إله إلا الله

روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي ، فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى وانصرف إليهم فقال لهم :

« لقد أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلي :

أمَّا أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامَّة ، وكان من قبلي إنما يُرسَل إلى قومه .

ونصرت على العدوِّ بالرعب ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر مُلِيءَ منه — أي : من الرعب — .

وأحلِّتْ لي الغنائم أكلها — وكانَ مَنْ قبلي يُعظمون أكلها وكانوا يحرقونها .

وجعلت لي الأرض مساجد وطهوراً — أينما أدركتني الصلاة تمسَّحتُ — أي : تيممتُ إذا لم نجد الماء — وصَلَّيتُ ، وكان من قبلي يعظمون ذلك وإنما كانوا يصلّون في كنائسهم وبيعهم .

والخامسة هي ما هي — أي : شأنها كبير — قيل لي : سَلْ فإن كل نبيٍّ قد سأل ، فأخَّرتُ مسألتي إلى يوم القيامة ، فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله » .

والمعنى : أن شفاعته ﷺ تعم الصحابة وكل من يأتي بعدهم إلى

يوم القيامة ممن يشهد أن لا إله إلا الله أي : مع شهادة محمد رسول الله ﷺ ، وذلك لأن هذه الشفاعة هي دعوته التي اختبأها شفاعة يوم القيامة لأمته — أي : الذين آمنوا به — كما تقدم في الأحاديث السابقة : « وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

شفاعته ﷺ بالمصلين عليه ﷺ
في كل وقت وحين عدد ما وسعه علم الله رب العالمين
وعلينا معهم أجمعين

روى ابن أبي داود عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يوم حجة الوداع يقول :

« إن الله تعالى قد غفر لكم ذنوبكم عند الاستغفار فمن استغفر بنيّة صادقة غفر له ، ومن قال لا إله إلا الله رجح ميزانه ، ومَنْ صلّى عليَّ كنت شفيعه يوم القيامة »[1]

وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أكثروا من الصلاة عليَّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« مَنْ صلَّى عليَّ عشراً صلّى الله عليه مائة ، ومَنْ صلَّى عليَّ مائة صلَّى الله عليه ألفاً ، ومن زاد صَبابةً وشوقاً كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة »[2] .

---

(١) وقال في الصلات والبشر : أخرجه الحسن بن أحمد بسند جيد . اهـ .

(٢) قال الحافظ السخاوي : أخرجه أبو موسى المديني بسندٍ قال الشيخ : لا بأس به . اهـ .

شفاعته ﷺ بمن سأل الله تعالى له الوسيلة

روى الإمام مسلم وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم النداء — أي : الأذان — فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلّوا عليَّ ، فإنه من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات ، ثم سَلُوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد » .

وفي رواية الترمذي : « إلا لرجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلَّتْ له شفاعتي يوم القيامة » .

شفاعته ﷺ بمن زاره بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم

روى البيهقي وابن عدي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :

« مَنْ زار قبري وجبت له شفاعتي » .

وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« مَنْ زارني بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة » .

شفاعته ﷺ بمن مات في مدينته المنوَّرة بأنواره صلى الله عليه وآله وسلم

روى الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« من استطاع منكم أن يموت في المدينة فليمت بها ، فإني أشفع لمن يموت بها » .

رسول الله ﷺ هو فاتح باب الشفاعة عند الله الذي يشفِّع الله تعالى به علماء أمته وشهداءهم وقراءهم وصلحاءهم :

روى ابن ماجه عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء » .

وروى الأصبهاني والبيهقي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « يجاء بالعالم والعابد يوم القيامة ، فيقال للعابد : أدخل الجنة ، ويقال للعالم : قف حتى تشفع للناس بما أحسنت إليهم » .

وروى أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته » .

وروى الترمذي عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله ، وحرَّم حرامه — أدخله الله الجنة ، وشفَّعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار » .

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قد أعطي كل نبيٍّ عطية ، فكلٌّ قد تعجَّلها ، وإني أخَّرتُ عَطيّتي شفاعة لأمتي ، وإن الرجل من أمتي ليشفع للفئام — أي : الجماعات من الناس — فيدخلون الجنة ، وإن الرجل ليشفع للقبيلة ، وإن الرجل ليشفع للعصبة ، وإن الرجل ليشفع للثلاثة والرجلين والرجل ».

وفي رواية : « وإن الرجل ليشفع للرجل من أهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته » .